قليلةٌ هي الأحداث التي تهزّ واقعاً عربياً تُغْدق عليه الأنظمة قيوداً متواترة. فبعد أن أدمن الشعبُ العراقيُّ العذابَ، وأدمن الشعبُ العربيُّ الاحتجاجَ الكسيح، تأتي الانتفاضة الفلسطينيَّة الثانية لتطلق صرخةً مدويةً جديدة في الاتجاهات الأربعة. ولعلّ مرأى الطفل الذي انتظر عوناً مستحيلاً يصدّ عنه الرصاصة القاتلة، انتزع من الصدر العربيّ آهات وحزناً صادقاً وأشواقاً كثيرة. وما كان منظر الطفل، الذي خذلته الجهاتُ الأربع، إلاّ صورةً أخرى للأماني الوطنيَّة العربيَّة، التي تستيقظ وتصحو وتَرْفع الصوتَ، ثم تسقط صريعةً برصاص العجز العربيّ الرسميّ والسيطرةِ الأميركيَّة والفطرةِ الإسرائيليَّة.

القـــدر الفلسطينيّ بين انتـفـاضـة وأخـرى

"شرفات منزلي مرتفعة، لكنّي لا أرى البحر؛ لكنّ هي منخفضة".

رفائيل البرتي

فيصل درّاج

الانتفاضة الأولى: انطفاءُ شعبيّ وصعود قياديّ

وإذا كانت الانتفاضة الجارية تَكْشف عن إرادة وطنيَّة فلسطينيَّة مدهشة، فإنّها تعبِّر أيضاً عن رغبة شعبيَّة عربيَّة في التحرُّر وتحطيم القيود، وإنْ كانت الأنظمة تعالج الرغبات المستنهضة بهراوات ثقيلة. فالدرس الفلسطينيّ، الذي يَنْصره الإنسانُ العربيّ صمتاً أو جهاراً، يُعْلن عن رغبة في الحياة والمقاومة، مجسِّداً حكاية العين التي تقاوم المخرزَ، ومُخْبراً أنّ سلطة الحياة تجابه حياةَ السلطة وسلطةَ السلاح. وسلطةُ الحياة، المزوَّدة بحجرٍ متقشِّف وإرادةٍ عامرة، هي التي تشلّ جيشاً إسرائيليّاً مُتْخماً بالدبابات والطائرات والقنابل النوويَّة. وسواء أقضى الطفل الفلسطينيّ مخذولاً أَمْ عاد مهشَّم الأضلاع إلى بيته في المساء، فإنّ الانتفاضة تُفْصح عن جماليَّة التمرُّد الشامل، إذ المغبون والمهان يَخْرج عاريَ الصدر إلى المعركة، مقاتلاً من أجل حياة عادلة وكريمة.

قبل سنوات، في كانون الأول عام ١٩٨٧، انطلقت الانتفاضةُ الفلسطينيَّةُ الأولى، متطلِّعةً إلى تاريخ فلسطينيّ جديد بعد أن كانت منظَّمة التحرير قد دخلتْ، في تونس، طوراً جديداً من التفسُّخ والاستنقاع. فكأنّ الشعب الفلسطينيّ، بعد سنوات طويلة من الاحتلال الإسرائيليّ، يئس من قيادةٍ مترهلةٍ استوطنَت المؤسسةَ والامتيازات. وهذا اليأس، الذي أَشْعل مقاومةً متفائلةً، جعل من الحجر الفلسطينيّ آنذاك مشهداً يومياً جليلاً، تَذْهب إليه الأغاني والأشعارُ والتعليقاتُ السياسيَّة، وتذهب إليه آمالُ جسام

تخاطب المستقبل. غير أنَّ تلك الانتفاضة، التي حاصرتْها منظمةُ التحرير أكثرَ مما حاصرتْها إسرائيل، انتهتْ إلى الخيبة. لم يكن في قبضة إسرائيل إلاَّ ما اعتاد الفلسطينيُّ عليه، من السجن والتعذيب والتنكيل، على خلاف «سياسة فلسطينيَّة رسميَّة»، قوامُها الرشوةُ والعصبويَّةُ الفقيرة والتفتيتُ والتشكيكُ وتركُ المناضلين الفقراء لمصائرهم الحزينة. وواقع الأمر أنَّ منظمة التحرير كانت ترتعب من احتمالات الاستقلال الذاتيّ للحركة الشعبيَّة الفلسطينيَّة، مكتفيةً، كما فعلتْ دائماً، بتصوُّر برجماتيّ وفجّ للكفاح الشعبيّ: فالشعب ضروريّ كي يَحْمل على أكتافه موكبَ السلطة إلى مكان جديد؛ فإنْ ارتاحت السلطةُ الفلسطينيَّة، كما غيرُها، إلى مكانها الجديد، رَمَتْ بالشعب وبكفاحه إلى قارعة الطريق أو إلى جهنّم.

كان على منظمة التحرير، دون نسيان القمع الإسرائيليّ، أن تَفْرض على الانتفاضة الفلسطينيَّة الأولى أن تعيش مفارقةً مؤسية هي التالية: سعَت الانتفاضةُ إلى دحر الاحتلال، وانتهَتْ إلى تسويغه؛ وحلمتْ بدولةٍ مستقلّة، ووصلتْ إلى سلطة رهينة ومرهونة؛ وهجستْ بالديموقراطية والتحرُّر، وحصدتِ السجونَ والقمعَ؛ وتطلَّعتْ إلى رغيف نظيف ومضمون، وانتهَتْ إلى مزيد من الفقر والحرمان، بسبب سُلْطةٍ تساوي بين الولاء والكفاءة، وتشدّ من أزر الولاء والكفاءة الغائبة برشوة يوميَّة ثابتة. ولذلك كان على المنتفضين، كما يَذْكر نورمان ج. فنكِلْستين في كتابه **صعود وأفول فلسطين**، أن يحاوروا آمالهم الخائبة، وأن يَنْظروا إلى اليوم الذي أشعلوا فيه الانتفاضةَ بأسف شديد، إنْ لم يترحَّم بعضُهم، بعد أن جاءت السلطة، على «أيام الاحتلال الإسرائيليّ».

انتهت الانتفاضةُ الأولى بانطفاء الحركة الشعبيَّة الفلسطينيَّة ويأسها، وانتهَتْ أيضاً بصعود نجم منظمة التحرير؛ كما لو كان انطفاءُ الانتفاضة شرطاً لصعود نجم قيادة فلسطينيَّة أَفَل نجمُها الفعليُّ منذ زمن طويل. ولعلّ هذا الجدل الحزين بين حركة شعبيَّة باسلة ومهزومة، وقيادةٍ تُفكِّك شعبَها كي تبقى، هو الذي أفضى إلى اتفاق أوسلو، الذي حلّ ـ موقتاً ـ مشاكلَ القيادة الفلسطينيَّة ومشاكلَ إسرائيل في علاقتها بالأرض الفلسطينيَّة، دون أن يحلّ من مشاكل الشعب الفلسطينيّ شيئاً. فلقد كان من المفترض أن تتسلَّح القيادةُ بالإرادة الكفاحيَّة الشعبيَّة، كي تُنْجز حلاً سياسياً يَحْترم التضحيات ويوافق الآمالَ (وإنْ جزئياً) ويفتح أفقاً وطنيّاً جديداً. وما أنجزته السلطةُ الفلسطينيَّة في اتفاق أوسلو كان يغاير ذلك تماماً. ولذلك كان طبيعيّاً أن يرى الكاتبُ الإسرائيليّ عاموس عوز في اتفاق أوسلو «الانتصارَ الإسرائيليَّ الأكبرَ منذ قيام الدولة»، وأن تُعْرب أولبرايت عن إعجابها بـ «مرونة الطرف الفلسطينيّ»، وأن يكتفي الفلسطينيُّون باجترار أحزانهم المتوالدة.

الانتفاضة الثانية: الثابت والمتحرّك

لماذا هذا الكلام الكثير عن انتفاضة ذهبتْ، مادام الحديثُ يدور حول انتفاضة راهنة؟ الحق أنَّ بين الانتفاضة الراهنة والسابقة وشائجَ كثيرةً، وإنْ كان اتفاقُ أوسلو، الذي قام بينهما، يعطي الانتفاضةَ الجديدةَ ملامحَ مغايرةً. والمغاير الجديد هو خيبة الشعب الفلسطينيّ الشاسعة. وما عداه ظَلَّ حيث كان: السلطة هي السلطة بحاشيتها الراكدة؛ وظلّ الجيشُ الإسرائيليّ على قمعه؛ والواقعُ العربيّ على هزيمته؛ و«جموعُ المؤمنين» على احتكارهم حبَّ القدس وتركِهم الدفاعَ عنها للفلسطينيِّين وحدهم؛ وبقيَت الإرادةُ الأميركيَّة التي تتعامل مع «أزمة الشرق الأوسط» بـ «طاقم يهوديّ» يوقف «الحوارَ» يوم السبت كي يذهب إلى الكنيس (حتى نُسبتْ إلى عرفات الجملةُ التالية: الشخص الوحيد غير اليهوديّ الذي قابلتُه خلال فترات المفاوضات كلها هو كلينتون!).

ما تغيّر، إذن، هو الفلسطينيّ الذي اخْتَرَعَ أملاً وقاتَلَ من أجله، ورأى، لاحقاً، تبدُّدَ الأمل والقتال. قال عرفات ذات مرّة: «قدَّم سكانُ الضفّة الغربيَّة للثورة الفلسطينيَّة خلال ثمانية أشهر أكثرَ ممّا قدّمت المنظمةُ في عشرين عاماً»[1]. والأشهرُ الثمانية المجيدة هي أشهر الانتفاضة الأولى، التي جعلَت الفلسطينيِّين يقولون: «نحن نعتقد أنَّ كل شيء سيصبح أحسنَ بعد تحقيق الدولة، حتى الحفلات»[2]. ولكنّ الأحسن المنتظر انقشع قبل أن يأتي، في ظلّ سلطة لم تأتِ بـ «الدولة الموعودة»، بل جاءت بقمعٍ تقليديّ وبفسادٍ شهير وبإفقارٍ للشعب نموذجيّ. وكلُّ هذه الأمور دفعَتْ بالمنتفضين السابقين إلى التنافس على العمل في بناء مستوطنات يهوديَّة جديدة، وعلى الأرض التي قاتلوا من أجلها! ولعلّ فكرةَ الهجرة لم تراود الفلسطينيِّين بقدر ما راودتْهم عقبَ مجيء السلطة، وذلك بعد أن سَحَبَ نهرُ الخيبة معه وعوداً كثيرة.

فرضتْ هذه العناصرُ جميعاً، ومصدرُها السلطةُ التي فقدَتْ صلاحيتَها منذ زمن طويل، على حجر الانتفاضة الثانية أن يَذْهب في اتجاهات متعدِّدة. إنَّه حجر يَرْجم الاحتلالَ والسلطةَ واتفاقَ أوسلو والفقرَ والفسادَ وظلمَ الحياة

---

١ ـ نورمان ج. فنكلستين: **صعود وأفول فلسطين**، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٠، ص ٢٤.

٢ ـ المصدر السابق، ص ٧٠.

والخيبةَ المتجدِّدة والعجزَ العربيَّ والسلامَ الأميركيّ. وهو أيضاً حجرٌ يَرْجم أمةً عربيةً تعترف (تدريجيّاً) بحقّ الإسرائيليِّين في أرض فلسطين، ويحضّ قادتُها السلطةَ الفلسطينيَّةَ على القبول بربع فلسطين، بعد اختصارها إلى سجنٍ وعَلَمٍ باهتِ الألوان ونتفٍ من الأراضي متناثرة. هذه الخيبة الشاسعة، والأقربُ إلى تراجيديا كاملة، تَجْعل اليأسَ قائماً في الروح الفلسطينيَّة، التي وإنْ احتفظَتْ بالحلم لا تَكْترث كثيراً بالحياة، بعد أن فَصلَتِ اتفاقيةُ أوسلو بين الكرامة والحياة.

وإذا كان اليأسُ المتوَّجُ بالغضب يَصْدر عن خيبات كبيرة تَعْقب تضحيات كبيرة، فإنَّه ينحدر أولاً من شعور الفلسطينيّ بالحصار الكامل، ومن اعتقاده أنَّ «سلطته الوطنيَّة» تزيد الحصارَ المتعدِّدَ الجنسيّات حصاراً. في الانتفاضة الأولى استنزفتْ منظمةُ التحرير الطاقةَ الوطنيَّةَ الفلسطينيَّة، التي لم يستنزفها الجيشُ الإسرائيليّ، كي تَذْهب مطمئنةً إلى حيث كُتِبَ لها أن تَذْهب. وفي الانتفاضة الثانية تَنْتظر السلطةُ الاستنزافَ الجديد، كي تتابعَ «المفاوضاتِ» دون ارتباك. والواقع أنَّ السلطة تَرْكب أحلامَ الجماهير المنتفضة، لتلوي أعناقَها لاحقاً، بعد أن تكون هذه الجماهيرُ العاثرةُ الحظِّ قد ساعدتْ في «تحسين شروط اللُّعبة»، كما جاء على لسان مسؤولٍ فلسطينيّ في قناة فضائيَّة عربيَّة. وهذا الفرق بين مَنْطق «الشهادة الجماعيَّة» ومنطق «تجميل اللُّعبة»، يَفْرض على السلطة الفلسطينيَّة أن تجمِّل صورتَها، مستعينةً بألاعيب كثيرة ليس آخرَها اختراعُ «المسؤولين المتشدِّدين»، الذين هم مع الانتفاضة حتى «الحجر الأخير». وهذا الحجر، الذي يتحدَّث عنه «المتشدِّدون»، ليس حجرَ النصر، إنْ كان ممكناً، ولا حجرَ الشعب والعدالة، بل الحجر الذي تقذفه يدٌ واهنة، قبل أن يَدْخل صاحبُها في طورٍ جديد من اليأس.

انطلق الفلسطينيُّ في الانتفاضة الأولى من بداهة الأمل؛ وانطلق في الثانية من بداهة اليأس. واعتَقَدَ في الأولى أنّ الهدف واضح، وقاتَلَ من أجل دولة مستقلَّة؛ وفي الثانية ارتبك وضوحُه، فأَطْلق حجراً وفي اتجاهات يعرفها ولا يعرفها. قال منتفِض سابق، بعد أن جاءت السلطة: «لم نعد نرى العَلَمَ الفلسطينيَّ كما كنا نراه» (من كتاب فنكلستين). كأنّ على الفلسطينيّ، بعد الخيبة التي لا تغيب، أن يَنْسى عَلَمَه، أو كأنَّ عليه أن يَخْترع قيادةً سياسيَّة جديدةً جديرةً بالعَلَم. وواقع الأمر أنَّ المأساة الفلسطينيَّة، ومنذ زمن قديم، صادرةٌ عن المسافة الكبيرة بين أحلام الشعب وحسبان القيادة، وبين القيم الكفاحيَّة الشعبيَّة والمعايير السلطويَّة، وبين جماليّة المتعدّد الشعبيّ والأحاديّ السلطويّ المدثَّر بالرماد. بمعنى آخر: فشلت الانتفاضةُ الفلسطينيَّة الأولى في إحداث أيّ تغيّر في بنية منظمة التحرير وممارساتها، وسَمَحَ هذا الفشلُ للمنظمة أن تحاصِر الشعبَ، وأن تَعْبث به، وأن تذهبَ لاهيةً وغيرَ مسؤولةٍ ومطلقةَ السراح إلى السلام الأميركيّ ـ الإسرائيليّ. وبسبب هذا الدرس الثمين، الذي تَحْفظه السلطةُ عن ظهر قلب، ويحفظه الشعبُ الفلسطينيّ ولا يَحْفظه في آن، تدير السلطةُ الانتفاضةَ الراهنةَ بشكلٍ يعيد إنتاجَ هزيمة الانتفاضة الأولى ويعيد إنتاجَ انتصار السلطة في آن. والهزيمة الجديدة ستكون، منطقياً، أكثرَ إيلاماً وأشدَّ وقعاً وأخطرَ آثاراً، تَتْرك السلطةَ في مكانها، وتُرْسل بـ «الطفل الفقير إلى العراء».

بعد فشل الانتفاضة الأولى أنتجتْ منظمةُ التحرير ما أَنْتجتْ. فماذا ستعطي إنْ فشلَت الانتفاضةُ الثانية؟ في الاتفاقية التي أبرمَتْها منظمةُ التحرير مع إسرائيل في واشنطن في ١٩٩٣/٩/١٣، انطلق الطرفان من القرارَيْن ٢٤٢ و ٣٣٨ اللذين لا يَذْكران الشعبَ الفلسطينيَّ إطلاقاً. وكانت منظمةُ التحرير تتخلَّى، في هذا، عن جملة القرارات التي أصدرتْها الأممُ المتحدة منذ عام ١٩٤٨، بما فيها القرار رقم ١٩٤، الذي يقول بحقّ الفلسطينيِّين بالتعويض أو بالعودة. أكثر من ذلك: لم تكن المنظمةُ تفاوضُ على الحقوق الوطنيَّة الفلسطينيَّة، بل على حكمٍ ذاتيٍّ مجزوءٍ وموقت، متخليةً عن نصف الشعب الفلسطينيّ. وفي الحالَيْن كانت المنظمة تُنقِذ ذاتَها وتَدْفع بالشعب إلى الغرق. ولمّا كانت السلطةُ الفلسطينيَّةُ اليومَ ترى في الانتفاضة الراهنة مجردَ وسيلةٍ لـ «تحسين شروط اللُّعبة»، وتتابع جهداً قديماً لاستنزاف الطاقة الشعبيَّة الكفاحيَّة، فإنَّها ـ حين تستأنف المفاوضاتِ المتوقّعةَ ـ لن تأتي بجديد: فعلى اللاجئين أن يبقوا حيث هم، وعلى القدس أن تظلّ في قبضة المنتصر، وعلى السلطة أن تكبِّل الشعبَ المتعَبَ كي تحتفظ بـ «سلامها» وبهيبتها الضروريَّة.

إلى أين يذهب الشهداء؟

والسؤال الحزين القديم المتواتر يُطرَحُ من جديد: إلى أين يَذْهب الشهداء؟ والجواب بسيط : يذهبون إلى المقابر، مودَّعين بالريحان والدموع، ومودِّعين أهلاً يتابعون اختراعَ الأحلام. فالبطولة، كما يقول التاريخ، تفضي إلى حُسْن السمعة لا أكثر. والبطل هو الذي لا يعترف الآخرون ببطولته فقط، بل يقاتلون معه وهو يمارس هذه البطولة أيضاً. والبطل الشعبيّ الفلسطينيّ أقربُ إلى الطفل الفقير المنبوذ، تقاوم عينُه المخرَزَ، ويصفِّق له الآخرون عن بعد ويذهبون إلى أعمالهم. ولعلّ ما يؤرِّق الإنسانَ الفلسطينيَّ إلى تخوم الكابوس والبكاء هو: رغيفُ الخبز. فالانتفاضة منعتْ مائة وثلاثين ألفاً من الفلسطينيِّين من الاستمرار في العمل في

إسرائيل. ومنعَتْ من العمل مائة وخمسين ألفاً آخرين من الذين يعملون داخل «المناطق المحتلّة». ولن يكون الأمرُ مختلفاً لدى المنتفِضين الفلسطينيِّين في منطقة «الخط الأخضر»؛ ذلك أنَّ الجوع يقوّض أكثرَ الظهور صلابة. والأمر كله، ومنذ زمن طويل، كامنٌ في غياب سياسةٍ اقتصاديَّةٍ وطنيَّة، لا تَجْعل الفلسطينيَّ مرهوناً للأمر الإسرائيليّ، لا في ما يتعلَّق بالخبز وحده، بل في ما يتعلَّق بالماء والكهرباء أيضاً.

الانتفاضة والوضع العربيّ

وكما بقيَت السلطةُ الفلسطينيَّة في مكانها بعد الانتفاضتَيْن، فإنَّ الوضع العربيّ لم يَخْذل السلطة وظلّ في مكانه هو أيضاً. ولذلك بدا شيراك، الزعيمُ الفرنسيّ، «قوميّاً عربيّاً» أكثرَ من كثير من الزعماء العرب الكبار، حين لم يكتفِ بجملة جاهزة عن «إيقاف العنف»، بل تحدَّثَ عن شعبٍ «يواجه الأسلحةَ الإسرائيليَّةَ بصدرٍ عارٍ». وإذا كانت ملكةُ السويد تَكْره النساءَ الفلسطينيَّات لأنهنَّ يرسلن بأولادهنّ إلى الموت، فإنَّ زعيماً عربياً أَعْرب عن امتعاضه من الفلسطينيِّين لأنَّهم يُكْرون دعم بلاده لـ «قضية السلام». وبقدر ما تنسى ملكةُ السويد أنَّ الجنود الإسرائيليِّين يختارون الأطفال والصبيان الفلسطينيِّين هدفاً لرصاصاتهم القاتلة، كي يرفعوا الإرهاب والترويع إلى أعلى درجاتهما، فإنَّ المسؤول العربيّ لا يقول إنَّ دور المساعدات التي تأتي إلى بلده هو دعم «السلام على الطريقة الإسرائيليَّة». أكثر من ذلك: إنْ كانت الانتفاضتان الفلسطينيَّتان قد فشلتا في إحداث أيّ تغيير في بنية السلطة الفلسطينيَّة وممارساتها، فإنَّ الدعم الشعبيّ العربيّ للانتفاضتَيْن لم يغيّر شيئاً في بنية السلطات العربيَّة وممارساتها. ولهذا لن يكون وضعُ الشعب العربيّ مختلفاً عن وضع الشعب الفلسطينيّ، الذي يقاسمه الاندفاعَ والحماسَ والإحباطَ والخيبة... مع فرق حزين هو أنَّ اليد الفلسطينيَّة تَرْكن إلى الصمت بعد الوهن ونفاد الحجارة، بينما تظلّ الحجارةُ متراكمةً في شوارع المدن والقرى العربيَّة.

ومما يزيد الأمر أسى أنَّ «الصحوة الإسلاميَّة»، التي وصل مقاتلوها إلى أفغانستان واستقرّ رصاصُها في أجسادٍ جزائريَّة وغيرِ جزائريَّة كثيرة، لم تَفْعل شيئاً للقدس وللمقاتلين من أجل القدس. كأنَّ فكرة «الجهاد» قد أُقصيتْ من قاموس بعض المتأسلمين (وهنا يُمْكن الرجوعُ إلى مقرَّرات مؤتمرٍ إسلاميّ مسبق)... أو كأنَّ دور المسلمين هو الحديث المجرّد عن ضرورة الإيمان، دون ترجمة الإيمان إلى لغة حقيقيَّة تدافع عن الإسلام، أو تدافع عمّا حضَّ الإسلامُ الحقيقيُّ على الدفاع عنه. ولهذا فإنَّ أهزوجة «خيْبر خيْبر يا يهود» ترنّ في الفضاء ثم تتلاشى بعد أن يعود المؤمنون إلى صلواتهم. وممّا لا شكّ فيه أنَّ الأمر الأكثر حزناً لا يقوم في الفرق الباهظ بين البلاغة المتينة والفعلِ الغائب، بل في الفرق الكيفيّ بين إبداع الانتفاضة وتقليديَّة الفكر المنتسب إلى الإسلام. ففي الوقت الذي تَشْتقّ فيه الانتفاضةُ جماليةَ الإنسان من فعله المتمرّد، وتَشْتقّ أفعالَها وممارساتها من السياسة المشخَّصة والقائمة التي تمارسها إسرائيل والولاياتُ المتحدة، يرتاح الفكرُ المتأسلم إلى صيغ مجرَّدةٍ ومتقادمةٍ ومشبَعةٍ بالاستقرار؛ ذلك أنَّ المطلوب ليس استقدامَ الماضي كي يحارب من أجل الحاضر، بل إعادة صياغة الماضي من وجهة نظر التحدِّيات الراهنة.

عن «اليسار» الإسرائيليّ

قبل سنوات قريبة جداً كان بعضُ المثقفين يتحدَّث عن جماليّات التطبيع وقوى السلام الإسرائيليَّة وضرورة غزو المجتمع الإسرائيليّ بالنوايا العربيَّة الحسنة، معتقدين (بسذاجة حقيقيَّة نادراً وسذاجة مصطنعة غالباً) أنَّ قبول العرب بإسرائيل سيعيد تشكيلَ الخليقة كلها من جديد. واليوم يتطابق اليمينُ الإسرائيليّ مع اليسار الإسرائيليّ، وتتحوَّل «قوى السلام الآن» إلى امتدادٍ للحكومة الإسرائيليَّة التي تفضّل اغتيالَ الأطفال الفلسطينيِّين. ولهذا تبدو سياسةُ الفصل الديمغرافيّ مرغوبةً من الأطراف الإسرائيليَّة جميعاً، بعد أن رأى الجميعُ أنَّ الطموحات الفلسطينيَّة «تهدِّد أمنَ الدولة». ولعلّ تطابق موقف اليمين مع موقف اليسار يعيد تعريفَ السلام من وجهة نظر «اليسار الإسرائيليّ» كي يكون كالتالي: السلامُ هو أن يَقْبل الفلسطينيُّون والعربُ بحقّ إسرائيل في الوجود وبحقّ إسرائيل في أن تُملي على الفلسطينيِّين والعرب السياساتِ المختلفةَ، التي يجب تطبيقُها كي يستمرّ السلام، وكي تستمرّ إسرائيلُ مرجعاً للسلام وشروطه وغاياته.

«النفاية المنتظرة»

قد يبدو كلُّ شيء قريباً من العتمة والأمل المؤجَّل. وقد يبدو أنَّ على الفقراء أن ينتظروا زمناً يقاتلون فيه ويقودون قتالَهم في آن. ومع ذلك فإنّ مَنْ أنجز انتفاضةً أولى وثانيةً قادرٌ أن يُبدع انتفاضاتٍ قادمة. قال وزير خارجيَّة إسرائيل حوالى العام ١٩٤٨ مدافعاً عن النفي الدائم للاجئين الفلسطينيِّين: «بعضهم سوف يموت، ومعظمُهم سيتحوَّلون إلى غبارٍ إنسانيّ ونفاية للمجتمع». وهذه «النفاية المنتظرة»، رغم حصارٍ متعدِّد الاتجاهات، هي التي تُطْلق الحجارةَ على جيشٍ إسرائيليٍّ دعا نفسَه ـ في غفلةٍ من الزمن ـ «الجيشَ الذي لا يُقْهر».

دمشق (فلسطين)